﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

أدخلوا في السلم كافة

بتاريخ [2012-11-23]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان:
ادخلوا في السلم كافة
****

الخطبة السابعة:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك، وخلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت، ويعز، ويذل، ويكرم، ويهين، ويغني، ويقني، ويضحك، ويبكي، إليه المنتهى في الأمور كلها، كما قال عز من قائل: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42)﴾ [النجم: 42]. خزائن كل شيء بيديه، إذ الله قال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)﴾ [الحجر: 21] . وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله الله -عَزَّ وَجَلَّ- بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته، وعلى صحبه الكرام، ومن دعا بدعوته، واستن بسنته إلى يوم الدين وبعد:

فيقول الله-سُبْحَانه-في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: 208]. ومن معانيها، اعملوا بكل شرائع الإسلام، هذا أحد معانيها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾. من معانيها ادخلوا في الإسلام بعمومه، فمن ثم لزامًا أن نجتهد، وأن نبذل جهدنا لامتثال أوامر الله -سُبْحَانَهُ -، وأوامر رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي لا ينطق عن الهوى، فكما أننا أُمرنا بتزكية أنفسنا وتهذيبها، بذكر الله المتواصل، إذ الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)﴾ [الأحزاب: 41-42].

وكذا بالاستغفار الذي به تصفو القلوب وتسلم القلوب، إذ النبيُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «إذاَ أذنب العبد ذنبًا، نكتت على قلبه نكتةٍ سوداء، فإن تاب وأقلع محيت تلك النكتة، وإن عاد وأصر نكتةٌ أُخرى سوداء حتى يغطى القلب كله» ثم تلا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الآية: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)﴾ [المطففين: 14]. وقال هذا الران الذي ذكر الله في كتابه، فكما أننا نسعى لتزكية نفوسنا، وتهذيبها وتطهير قلوبنا، بالذكر والاستغفار، وكما أننا نسعى لتقوية ملكة الإخلاص فينا، بأن نقوم من الليل نُصلي بعيدًا عن أعين الناس، وبأن نتصدق صدقاتٍ في السر، كما أننا نسعى لذلك كله، ولزامًا علينا أن نسعى إليه إذ الله قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)﴾ [الشمس: 9-10]. ولكن علينا أيضًا مع هذا كله أن ننظر إلى كتاب الله، ذلكم الكتاب المبارك الذي شهد الله له بذلك فقال: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (50)﴾ [الأنبياء: 50]. وقال: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (29)﴾ [ص: 29]. فلزامًا علينا أن ننظر في كتاب الله، ما الذي يريده منا ربنا؟ حتى نفعله، عن أي شيء ينهاها ربنا؟ حتى ننتهي، وهكذا نمر على الكتاب العزيز والسنة المباركة، متدبرين متأملين ممتثلين، ولنكن كما قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا

(73)﴾ [الفرقان: 73]. أهل الإيمان وعباد الرحمن قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾.

فجديرٌ أن نقف مع كتاب الله، وبدقة ننظر ماذا يريد منا ربنا؟ بأي شيءٍ يأمرنا؟ عن أي شيء ينهانا؟ وننظر أين نحن من كتاب الله؟ وأين نحن من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فإن الأماني تغر أهلها، ولكن ثم حكمٌ هو كتاب الله وسنة رسوله، ننظر أين نحن منه؟ إذا اقتربنا فنحن على خيرٍ، إن ابتعدنا فلنحذر ولنرجع إلى طريق الله -سُبْحَانَهُ-، وهكذا في كل الأمور، في كل أمورنا، موقفي مع والدي، انظر إلى قوله تعالى: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ)﴾ [الإسراء: 23]. ما موقفي مع الوالدين؟ هل ممتثل لهذه الآية أم لا؟ ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء: 23]. هل امتثلتها أم لا؟ ﴿قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]. هل أنا ممتثل، أو لست بممتثل؟ وكذا: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً (24)﴾ [الإسراء: 24]. هل أنا على هذا النمط، وعلى هذا المنوال، أم أنني بعيد؟ ومن ثَم أقوم نفسي قبل الممات، فإن هذه دواوين سنسأل عنها بين يدي الله -سُبْحَانَهُ-.

أيها الإخوة في الكتاب المُنزل، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)﴾ [النساء: 58]. هذه آياتٌ محكماتٌ ليست بالمنسوخة أبدًا، وليست بالملتبسة، إن الله يأمركم أمرًا جازمًا، حاسمًا، قاطعًا، أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، قد يقتصر مفهوم الأمانة عند البعض، على الأمانات المالية التي يستودعها قومٌ عند آخرين، نعم هذه أمانات، أعطيتك مالًا، قلت لك احفظه لي إلى وقت طلبه، فيأمرك الله -سُبْحَانَهُ-أن تؤدي الأمانة إليَ إذا طلبتها منك، هذه داخلةٌ أصالةٌ في الباب، وإلا فإذا غدرت بي فرسولك الأمين يقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: في علامات المنافق: «إذا اؤتمن خان». ويقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه». أي علمٌ عند دبره، علمٌ عند دبره مكتوب عليه، هذه غدرة فلان بن فلان، فهذه فضيحة عظيمة -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-، أن تأتي يوم القيامة وعند دبرك علم، مكتوب عليه هذه غدرة فلان بن فلان، يعني التي غدرت به فيها، فضيحةٌ على رؤوس الأشهاد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. نعم الأمانات المالية، مطلوبٌ أداؤها إلى أهلها، والرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ذكر في حديثٍ مروعٍ، ومخوفٍ في صحيح مسلم حاصله: أن الناس يمرون على الصراط، والصراط جسر جهنم كما لا يخفى عليكم، وكلٌ يريد أن يجتاز الصراط مسرعًا؛ لأنه يخشى أن تتخطفته الكلاليب وتسقطه في الجحيم، فعلى جنبتي الصراط تقف الرحمُ والأمانة، الرحم على جانب، والأمانة على جانبٍ آخر.

قال العلماء في شرح الحديث، وبيان سبب وقوف الرحم والأمانة على جنبتي الصراط، إن الأمانة تقف، إن كان الشخص خائنًا لها استوقفته على الصراط، وهو أحوج ما يكون إلى أن يمر سريعًا، فتستوقفه عن الصراط يا رب هذا خانني فخذ لي

حقي منه، والرحم قل يا رب هذا قطعني فخذ لي حقي منه، أما إذا كنت مؤديًا للأمانة، وتعثرت في المرور على الصراط، جاءت الأمانة تستنقذك، يا ربِ هذا الشخص كان يؤدي الأمانات، فسلمه يا رب وعافيه يا رب، فلزامًا أن تؤدى الأمانات إلى أهلها، ولكن الأمانات لا تقتصر أبدًا على الأمانات المالية المودعة عندك فحسب، إنما أماناتٌ عامة، ولقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة، قيل كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: إذا وُسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». هذه من أمانة أيضًا، فولاة الأمور أُمناء، أُمناء على شعوبهم، ليس في دنياهم فحسب، بل أُمناء على شعوبهم يبحثوا لهم عن الصالح الذي ينجيهم الله به في دنياهم، وفي دينهم كذلك، مهمة ولي الأمر المسلم، لا تقف أبدًا على السعي لإصلاح دنيا الناس، بل لإصلاح آخرتهم كذلك، إذ الله قال: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ (41)﴾ [الحج: 41].

فمن مهمات ولاة الأمور أن يسعوا لتأمين المسلمين في آخرتهم أيضًا، ولذا شُرعت الحدود، الحدود لم تشرع كعقابٍ في رادعٍ يردع الجناة فحسب، إنما شُرعت أيضًا لتطهيرهم يوم يقوم الناس لرب العالمين، ولذلك جاءت الغامدية التي زنت إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقالت يا رسول الله: «هذا الحمل الذي في بطني من الزنا، فقال: إذًا لن نرجمك وأنتِ حامل، اذهبي حتى تضعي». ذهبت ووضعت وجاءت مصرة، على إقامة الحد، «يا رسول الله، هذا الحمل الذي في بطني قد وضعته وها هو، قال: إذًا لن نرجمك وأنت ترضعي، ارجعي فأفطميه، فذهبت، وارضعته حتى فُطم، وجاءت معه بكسرة من خبزٍ، قالت: يا رسول الله ها هو أكل الطعام، فطهرني يا رسول الله، فأقام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عليها الحد، تكلم البعض في شأنها، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: لقد تابت توبةً لو قُسمت على أهل المدينة لوسعتهم». ونفسه حدث لماعز الأسلمي، لما قال: «يا رسول الله: إن الأبعد قد زنا، سأله النبي لعلك قبلت، لعلك لامست، لعلك غمست، أتعرف الزنا؟ لعلك كنت سكرانًا شموا رائحة فمه، لعله سكران، والرجل مصرٌ على الرجم، قال: إنه يعرف الزنا، وأن الأبعد قد فعل ذلك، فأمر النبي به فرجم».

الشاهد لماذا يصر على هذا؟ يصر على ذلك؛ لتأمين نفسه يوم يلقى الله، فإن الشخص إذا ارتكب جنايةً وعُوقب عليها في الدنيا فكما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «فهي كفارة له». أما إذا لم يعاقب عليها في الدنيا فأمره موكول إلى الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، فمن الأمانات التي حُملها ولاة الأمور، أمانة تأمين الناس في آخرتهم، «ما من والٍ، وما من أمير يرعى رعيةً فيموت يوم يموت وهو لها غاش، إلا حرمت عليه رائحة الجنة ». إن ابنًا لعمر كان بمصر مع عمرو بن العاص فشرب الخمر، مع رجلٍ يقال له أبو سروعه، شرب الخمر فندم، فقال بن عمر لصاحبه: تعال بنا إلى أين نذهب إلى هذا الأمير ليطهرنا، فذهب إلى عمروٍ، وقال يا عمرو يا أمير المؤمنين: أيها الأمير اصبنا حدًا فطهرنا، فطهرهما عمروٌ بإقامة الحد عليهما.

الحاصل أن ولي الأمر مستأمن، يسعى لتأمين الناس، ليس في دنياهم فحسب، ليس في توفير البطاطس، والغاز، والرز فحسب؛ إنما يسعى لإنقاذهم من نار جهنم، وأنت يا والد يا أب مسؤولٌ أيضًا عن السعي لتأمين أولادك في دنياهما وفي آخرتهم، لك أبناء لست فقط مسؤولًا عن توفير الطعام والشراب لهم، بل مسئول أيضًا عن رعيتك، وعن سلامتهم يوم يلقون ربهم إذ الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)﴾ [التحريم: 6].

العَالم مستأمن، ومسئوليته عظيمة، إذا سُئل استأمنه الناس فأفتى بفتوىَ تغضب ربه، سيحاسب أشد الحساب، إذا رأى منكرًا ولم يبين ما فيه من الخلل والعَور، فإن ربي سائلًا قال سفيان بن عيينة الإمام: لقد ذكر الله آيةً أراها هي أشد آية في كتاب الله على العلماء، وهي قوله تعالى، في شأن بني إسرائيل الذين ارتكبوا الجنايات: ﴿لَوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (63)﴾ [المائدة: 63]. أي لبئس الصنيع، صنيع الربانيين والأحبار، الذين لم يأمروا الناس بالمعروف، ولم ينهوا الناس عن المنكر، إن الله قال وهذه أيضًا شديدةٌ على أهل العلم، فكما إنهم يثابوا ويرتفعوا درجات علمهم، كذلك إذا خالفوا فالعقاب عليهم شديد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160)﴾ [البقرة: 159-160]. لقد أُخذ عليهم الميثاق، ألا يقولوا على الله إلا الحق، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187)﴾ [آل عمران: 187].

إن العلماء إذا خانوا الأمانات، والولاة إذا خانوا الأمانات فقد ضاعت الدنيا في أغلب أحوالها، كما قال ابن المبارك -يرحمه الله-: وهل أفسد الدين إلا الملوك، وأحبار سوء ورهبانها، فهؤلاء الذين يرجع إليهم إذا ضلوا وزاغوا، زاغ بزيغهم أقوامٌ وزاغت بزيغهم أمم، الأمانات مفهومها أوسع بكثير مما تتصوره، لقد قال فريقٌ من أهل العلم في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ [الأحزاب: 72]. يا أرض، يا سماء، يا جبال تحملي الأمانة، وإن أطعتِ أُثبتِ، وإن خالفتي عقبتِ رفضت، رفضت السماوات، ورفضت الأرض، ورفضت الجبال حمل الأمانة، وجاء الإنسان، ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

قال بعض العلماء ذكروا صورًا للأمانات منها: الغسل من الجنابة، الغسل من الجنابة لا يخص السماوات، ولا الأرض، ولا الجبال، ولكن المعنى الأعم للأمانات التكاليف الشرعية، يا سماء تُكلفي بتكاليف إن حملتيها وأديتيها تثابي، وإن تركتيها تعاقبي رفضت العرض، الإنسان حملها من هذه الأمانات من التكاليف الشرعية التي يحملها الإنسان الغسل من الجناب، فذكروا العلماء وأكدوا عليه، أكدوا على الغسل من

الجنابة وأنه داخل في الأمانات التي حملها الإنسان، وكثيرٌ من بني آدم لا يؤدونها، ولا يقومون بها.

المرأة مستأمنة على فرجها، في غياب زوجها، مستأمنة على مالهِ أيضًا، إذا هو عنها غاب، مستأمنة على أسراره، لا تفشيها ولا تفضحه، فالحاصل أن الكل مستأمن، إذا جاءك شخصٌ يستنصحك، ما رأيك في قوم فلان وفلان أتزوج منهم أو لا أتزوج؟ استأمنت، أنت الأن استؤمنت، هل ستؤدي الأمانة، أو لا تؤديها؟ ولذا قد ورد أن بلالً، وسنده في مقال يسير، «أتاه أخوه، وكان رجل سوءٍ، قال: تعالَ يا بلال معي اشفع لي عند قوم كي أتزوج، ذهب بلال معه، قال أيها القوم بعد أن حمد الله واثنى عليه، أخي استشفى بي عندكم للزواج، أنا بلال بن رباح العبد الحبشي، من الله علي بالإسلام وبالعتق، فالحمد لله، فهذا أخي رجل سوءٌ يريد أن يتزوج منكم، إن شئتم زوجتموه، وإن شئتم تركتم، قالوا صدقتنا يا بلال، ونزوجه من أجل بلال، واقبلوا عليه وزوجوه». مع أن بلال أدى ما عليه من الأمانة، فأدائك للأمانة لن يؤخر قضاء قضاه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- المستشار مؤتمن، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]. أمانات النصح، أمانات العلم، أمانات المال، كل الأمانات تؤدىَ إلى أهلها، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]. لا تجوروا، ولا تميلوا لقراباتٍ، ولا لحزبياتٍ ولا لصداقات أبدًا إنما لله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ [المائدة: 8]. فالعدلُ حقٌ لله لابد أن يؤدى.

ولقد روي أيضًا بسند فيهما، بالمقال ويحرر، أن اليهود كانت بينهم وبين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خصومة، فطلبوا أن يحكم بينهما عبدالله بن رواحة، فذهب عبدالله بن رواحة وقال لهم: «يا معشر اليهود، أُشهد الله أنكم أبغض خلق الله إلي، وجئتكم من عند أحب خلق الله إلي، ولكن لا يمنعني حبي له، وبغضي لكم أن أقول بغير الحق، قالوا: صدقت وبررت يا بن رواحة، بهذا قامت السماوات والأرض».

فلزامًا أن تؤدى الأمانات إلى أهلها، على القريب، والبعيد بل على النفس، والوالدين، والأقربين، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾. قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إن المقسطين على منابر من نور يوم القيامة، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا». ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: 58]. أي نعمة الموعظة التي يعظ الله بها العباد، ﴿أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]. ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ [النساء: 58]. نعم الشيء الذي يعظكم به الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: 58]. تلا الرسول الآية هذه ووضع أصبعه الإبهام في أذنه، والسبابة، أو على عينه وهو يتلو هذه الآية، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]. من أولي الأمر؟ طاعة الله وطاعة الرسول معروفة لا شك فيها، أولي الأمر فيهم قولان:

الأول: الأمراء والحكام.

الثاني: أهل العلم.

ومن شواهد الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]. وسبب نزولها معروف، ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. هل طاعة أولي الأمر مطلقة؟ لا، إنما الطاعة في المعروف كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، ودل عليه أيضًا شيءٌ في الآية: وإن تنازعتم في شيء يعني أنتم والأمراء، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]. يعني إن تنازعنا نحن، والأمراء، والرؤساء في شيء ليس قوله الفصل ليس بالهزل يخطئ، ويصيب، ويجهل، ويعلم، فعند التنازع ماذا نصنع؟ ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59].

يلزمنا الرد إلى الله، وإلى الرسول في المشكلات وعند الاختلافات والنزاع، إذا تنازعت مع رئيسي، مع ملكي، مع أميري مع وزيري مع أي شخص، نرد الكلام إلى ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ثم إلى رسولنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ﴿إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء: 59]. لا أرد إذًا لقانون، ولا لدستور ولا لأي شيء إلا إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ذلك الرد ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]. أي أحسن عاقبة ومردًا، ثم يُذكر الله بأقوامٍ من أهل النفاق، شأنهم الإعراض عن الله ورسوله، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾قولًا كاذبًا إنهم آمنوا: ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [النساء: 60]. ومع ذلك ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾. تحاكموا إلى أهل الكفر، كحيي بن أخطب اليهودي، أو كعب بن الأشرف اليهودي، أو إلى الشيطان، أو إلى شرائع الشياطين، فالطاغوت عام، كل ما عُبد من دون الله، وكل من أطيع في غير طاعة الله والشيطان طاغوت، والساحر طاغوت إلى غير ذلك، فكل ما كان مبتعدًا عن الشرع مخالفًا له يدخل في الآية، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت، وقد أُمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدا، بتحاكم من الطاغوت، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61)﴾ [النساء: 61]. رأيت طائفة من أهل النفاق تصرف الناس عنك، يا ناس تعالوا إلى الشريعة، تعالوا إلى الوحي، ربنا لا يَضل، ربنا لا ينسى، ربنا لا يظلم، ربنا لا يجهل، ربنا لا يحيف، تعالوا إلى الله ورسوله، تعالوا إلى الكتاب والسنة، برزت هنا طائفةٌ من أهل النفاق تصد عن هذا السبيل صدودًا، وتمنع الناس منعًا من سلوك هذا السبيل، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾. لا، تعال إلى الغرب الكافر، تعال إلى الشعارات الكافرة الضالة الزائغة، تعال إلى الديموقراطية والاشتراكية، والماركسية، والناصرية، والعلمانية، يا جماعة أيها أهدى سبيلًا، أكلام ربي وكلام رسولي؟ أم أنتظر بشرًا؟ يسطرون لي قوانين يحكمونني بها، عندي كتاب ربي يا أهل العقل، يا من لكم عقل عندنا كتاب الله، وعندنا سنة رسول الله، أتباعُها؟ أم أنتظر شرذمًا من الناس يضعون لي قانونًا وشرعًا أسير عليه؟ -عِيَاذًا بِاللَّهِ- من الضلال.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: 62]. يعني

الإعراض عن كتاب الله وسنة رسوله سبب المصائب، والله لن تسلم بلادنا أبدًا بكل هذا اللوث الذي تعيشه أبدًا، والله ما أصدره من قرارات، ومهما اجتمعوا من اجتماعات فلن يصلحها إلا كتاب الله وسنة رسوله، إنهم يسعوا مبتعدين عن النهج الكريم الوحيين، فربنا قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء: 62]. والله يقول في الآية الأخرى: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 49].

خير البشر محمد بن عبدالله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، استمعوا قول الله له: ﴿وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)﴾ [الإسراء: 74- 75]. هكذا يقول الله له، فإذا أعرضنا عن الكتاب والسنة والتحاكم إليهما، أبشروا بالمصائب التي ستحل بالبلاد، وإن كنتم تريدون حكم الله ورسوله فنادوا بذلك، واسألوا الله إذا أنزل على البلاد عذابًا ألا يعاقبكم، فإن الله أمر النبي أن يقول: ﴿رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: 93]. ﴿رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (94)﴾ [المؤمنون: 94]. يعني يا رب إذا أنزلت على العباد مصائبَ، وعقوبات بسبب عصيانهم يا رب لا تجعلني منهم، ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، والأخرى: ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]. قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (62)﴾ [النساء: 61- 62]. كذبًا وزورًا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (63)﴾ [النساء: 63]. مؤثرًا واصلًا إلى القلوب، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ﴾ [النساء: 64]. الرسل والله ما أرسلت أبدًا لكي يستشار في أمرها، أتطاع أم تعصى؟ لم ترسل الرسل أبدًا بعبثٍ ولا بلهوٍ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾. رسولنا ما أُرسل حتى يستفتح على قوله: نطيع الرسول أو لا نطيعه، نحكم بشريعته، أو لا نحكم، نتقدم بين يديه أو لا نتقدم، ما أرسلت الرسل لهذا، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾. ثم جاءت الآية الحاسمة يقسم الله بنفسه، وقلت المواطن التي أقسم فيها بنفسه، العالية أقسم العلي العظيم بنفسه قائلًا: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء: 65]. ليس فقط تحكيم الشريعة، بل طمأنينة القلب بتحكيمها، ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. ثم يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (66) وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (67) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: 66-68]. جاءت الآيات تحذر كما أننا أُمرنا بالصلاة ونهينا عن تركها، وبالزكاة ونهينا عن تركها، كذلك أُمرنا بأن نحكم، وأن نحكم بما أنزل الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله أولئك هم الكافرون، أولئك هم الظالمون فأولئك هم الفاسقون، كذلك: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِينًا (36)﴾ [الأحزاب: 36].

تتوالى النصوص للإلزام بتحكيم شرع الله تعالى ذكرهُ، لنبيٍ كريمٍ وهو داود -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (26)﴾ [ص: 26].

لقد قال تعالى لنبيه محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ (18) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19)﴾ [الجاثية: 18- 19]. قال لنا: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (3)﴾ [الأعراف: 3]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (1) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (2)﴾ [الأحزاب: 1- 2].

أيها الإخوة، الأمان كل الأمان والسلامة كل السلامة، في الدارين دار الدنيا، ودار الآخرة في طاعة الله ورسوله، وفي الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله، إن الصديق يوسف في السجن، يُعلم السجين: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 40]. إن الله قال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: 52]. إن الله قال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (69)﴾ [النساء: 69].

إخواني، بعد هذه النصوص، هل نتصور أننا كمسلمين، ننتظر لجنة تخرج لنا بشرع نتحاكم به، توليفة من الفساق والفجار والصالحين، يجلسون للاتفاق على شيءٍ سموه التوافقي، أتوافق عليه المسلمون والكفار ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (9)﴾ [القلم: 9]. هل أنا وأنت يا مسلم ننتظر إلى أن يخرج علينا بشرٌ يصيبون، ويخطئون، ويجهلون، ويعلمون، ولهم أهواء تحركهم وشهوات تنتزعهم، حتى يخرجوا علينا بشرع نتحاكم إليه، وترى السفيه يتكلم في أمر العامة، ويشرع لهم شرائع، أي دين يسمح لنا بهذا؟ إن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1)﴾ [الحجرات: 1]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2]. رفع الصوت في حياته كرفع الصوت بعد مماته، لرسول الله أمرٌ لا ترفع قولك ولا صوتك على قول الله، ولا قول رسوله أبدًا، بحالٍ من الأحوال، هذا من مسلمات إيماننا، فالمسلم عبد لله، لسنا بأحرار.

أيها الإخوة، مطلبنا ليس بالمطلب العسير، نريد أن نحكم بشرع الله، نريد لسلامتنا وسلامة بلادنا، في دنيانا وآخرتنا، أن نحكم بشريعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وربنا لن يُضيعنا، وإذا جعنا فلا بأس أن نجوع في مرضات الله، رسولنا حُصر في شِعب أبي طالب حتى أكل ورق الشجر هو وأصحابه، ويذكر أن السيدة خديجة ماتت في ذلك الشعب، إثارًا لمرضاة الله، إن الصديق يوسف أثر لمرضاة الله، وسجن سجنًا

طويلًا مقابل أنه رفض أن يرتكب الفاحشة التي تُسخط الله عليه، علينا أن ننادي بشرع ربنا -سُبْحَانَهُ-، وعلينا أن نُقن ﴿ إِنَّ الْعاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: 49].

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا)﴾ [الطلاق: 2]. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: 3]. إن أهل الشرك قالوا لرسولنا: ﴿إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: 57]. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: 57].

أيها الإخوة، تمسكوا بكتاب الله، وتمسكوا بسنة رسوله، -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، أي وافدٍ يفد عليكم، لا تعرفونه من المحدثات، فاصرفوه عنكم، فإن الكفر سمي بغير أسمائه، كما سمى أهل مكة اللات باسم من أسماء الله، وسموا العزى من العزيز، وسموا مناة من المنان، أهل الكفر يدخلون على تسمية باطلهم بأسماء، فيسمون الخمر الويسكي، يسمونها المشروبات الروحية، يسمونها الكفر الديمقراطية مرة، علمانية مرة، ليبرالية مرة، ماركسية مرة، وكلها شرائع الشياطين، فهذه الديموقراطية التي تذكر حكم الأكثرية، تبيح الحريات، إذا أرادتها الشعوب تبيحها، لذا ترى بلاد أوروبا الكافرة، وأمريكا الكافرة الديموقراطية، التي فيها أن الرجل يعتلي المرأة في الطريق، وإذا هيجته فأنت الآثم المحاكم، وتصاغ في الدساتير المصرية الأن قوانين مثل هذه الحريات الشخصية مكفولة، ومن يتعدى على الحريات الشخصية ارتكب جريمةً لا تسقط الدعوى الجنائية بها بالتقادم، يعني إذا وجدت شاربًا للخمر، وقلت زجرته أنا المعاقب، وأنا المجتنم للاسم الذي أودع في المحاكم والسجون، إذا رأيت من يفعل فعل قوم لوط في الشارع الديموقراطية الأثيمة تعاقبك إذا أنت نظرت إليه نظرة سوء؛ لأنك تحارب الحريات الشخصية وبئس ما صنعوا، يكفي فقط أن تعرفوا أن آل الكفر لم يرضوا عنا إلا إذا اتبعنا ملتهم، ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: 120]. ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾ [النساء: 89]. فتكونون سواء، كل هذه نصوص، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27)﴾ [النساء: 27].

فهل تتوقعوا أن أمريكا ستصدر إلينا الديموقراطية التي تقريبنا من الله؟ هل هذا يتصوره مسلم؟ أمام هذه النصوص فمطلبنا أيها الإخوة، إذا جاءنا ما لا نعرف، أو جاءنا ما نعرف علينا بكتاب ربنا وسنة نبينا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فأعودُ مذكرًا بأننا، وكما أُمرنا لإصلاح نفوسنا بذكر الله المتواصل، وبالاستغفار المتواصل وبرد المظالم إلى أهلها، وبصلاتهِ في الليل والناس نيام، كل هذا مطلب ولزامًا أن يفعل ومع ذلك نسعى لتطبيق سائر أوامر الله وأوامر رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وفقنا الله وإياكم لطاعته ومرضاته، واستغفروا ربكم أنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أيها الإخوة، أنتم في شهر مبارك من الأشهر الحرم، وقد قال تعالى: ﴿فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: 36]. أنتم في شهر الله المحرم، قال الرسول الأمين -

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأنتم غدًا إن شاء الله، أعاننا الله وإياكم على الصيام والقيام، مُقدمون على يوم عاشوراء، صيامه يكفر السنة الماضية، فاحرصوا على صيامه، وقد كان النبي يصومه، ويأمر بصيامه، فكان صيامه فرضًا قبل أن يُفرض رمضان، فلما فُرض رمضان كان من شاء صام، ومن شاء أفطر، لكن الأجر ثابت، أنه يكفر السنة الماضية، فعلموا صبيانكم صيام هذا اليوم، ابنك الصغير دربه، قالت الربيع بنت معوذ: "كنا نصوم عاشوراء ونصومه صبياننا، فإذا جاء أحدهم جعلنا له اللعبة من العين". تعني حتى ينشغل بها حتى تغرب الشمس فصوموه، وحرضوا الناس على صيامه، وحرضوا البنات، والأبناء على صيامه، ففي ذلك أجر، درب ولدك الصغير على ذلك، عدهُ بالهدية إذا هو صام، أعطي لعبةٌ يلعب بها حتى لا يفطر.

وينشـــــأ نـاشـــئ الفتيـان منـا عـلـــى مـــا كـــان عـــوده أبـــوه

علم أبناءك صيام الأثنين والخميس، دربهم على هذه الخصال الطيبة.

أيها الإخوة، في مثل هذا اليوم، كان ثَمَّ مطاردة مثيرةٌ غاية الإثارة، موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أوحي إليه: ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [الشعراء: 52]. فخرج ببني إسرائيل ليلًا من مصر، خرج بالقبيلة كلها عن أسرها، خرج من مصر، وإذا بفرعون يجند الجنود ويحشد الحشود لملاحقته، وموسى يمعن في الفرار هو ومن معه -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وفرعون يجتهد في اللحاق به أشد الاجتهاد، متوعدًا: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71)﴾ [طه: 71]. فرعون بجنده وجبروته يطارد هؤلاء المؤمنين، ويؤمن المؤمنين في الفرار والهرب، والثاني بحشوده، وضجه، وضجيجه، يريد اللحاق بموسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وصلت الأمور إلى طريقٍ كما يقولون مسدود، البحر أمامهم، والعدو خلفهم، ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: 61]. فهنا كما هو معلومٌ أن الله يجعل بعد العسر يسرًا، وبعد الكرب فرجًا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: 110]. هنا ماذا قال موسى؟ لما قال له أصحابه في مثل هذا اليوم، والجموع وراءهم ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾. يظهر اليقين بالله، كلا لن ندرك أبدًا بإذن الله، ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)﴾ [الشعراء: 62]. سيوفقني، ويسلمني، ويعافيني، أوحي إلي: ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: 63].

سلك موسى الطريق في البحر يبسًا، وهو من معه، وكان بالإمكان إذا شاء الله أن يتوقف فرعون ما الذي حدث؟ بحرٌ يشق لهذا الرجل ويمشي فيه، لكن كما قال تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (64)﴾ [الشعراء: 64]. يعني قرب الله فرعون ومن معه إلى البحر إلى اليبس، ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾. يعني قربنا هنالك، ﴿الْآخَرِينَ﴾. فرعون ومن معه، فسلم الله موسى، وانطبق البحر على فرعون ومن معه، فهكذا كانت عاقبة الظالمين، وكانت لموسى العاقبة عاقبة المتقين، تشكك قوم من شدة الخوف، لعل فرعون يرجع لعلهما غرق، تشكك قوم من شدة الخوف لم يصدقوا أن فرعون غرق، قال تعالى: وقد القيت بجثة فرعون، القي بجثة فرعون على اليبس: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ

بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)﴾ [يونس: 92]. فخرج وكان أحمرًا كما يقول الشُراح قصيرًا ضخمًا كالثور، أُلقي به على مكانٍ مرتفع من الأرض، حتى يأتي المتشككون يرونه ويرون ما حل به، ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

أيها الإخوة، استقرئوا سير المرسلين، حتى تثقوا في ربكم بعد أن ضُعفت ثقتكم بالله، حتى تثقوا في نصر الله، بعد أن ضعفت الثقة بنصر الله عند الكثيرين، اقرأوا سير الأنبيَاء، حتى تعلموا كيف كان تمسكهم، إن نوحًا يقول لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: 71]. إن كانت شقت عليكم دعوتي لكم، وتذكيري لكم بآيات الله، ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾. اجتمعوا كلكم، واجمعوا آلهتكم ﴿ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾. اتفقوا كلكم ولا تختلفوا، ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾. افعلوا في ما شئتم، ولا تؤخروني لحظة، هكذا شجاعة الأنبيَاء، المعتصمين بالله، الذين اعتصموا بالله فهدوا إلى صراط مستقيم، لم يكن أحدهم ديمقراطيًا ولا ماركسيًا، ولا مرقعًا للديانات يأخذ جزءً من الكفر وجزءً من الإسلام أبدًا، أبدًا، بل حنفاء لله غير مشركين به، ثابتون على أمر الله، ثابتون على سنة رسول الله، وتأتيهم العواقب الطيبة، دائمًا العاقبة للمتقين.

إخواني، والله لن يسلم لكم أمركم، ولن تسلم بلادكم، لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا بطاعة الله ورسوله، وكلنا والله نجرب ذلك، على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، فوالله ما رأينا أضر علينا من معصية الله، والله ما رأينا شيئًا، أضر علينا من معصية الله-سُبْحَانه-ولا وجدنا شيئًا، أبدًا أحلى لنا، ولا ألذ مذاقًا من طاعة الله وطاعة رسوله، إن الشخص منا يطيع الله الأن فيشعر بسعادةٍ، وانشراح في الصدر لا يعلم مداها إلا الله، ويعصي الله فيرى نكدًا، وإن كان يأكل أطيب الطعام ويشرب أحسن الشراب، إلا أنه بئيسٌ وتعيسٌ بمعصيته الله، فوالله ما وجدنا أفضل، ولا أحسن من طاعة الله ورسوله وذكره والإيمان به، وما وجدنا أضر علينا من معصية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تورث نكدًا، تورث كربًا تورث همومًا، -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- ، فلنحرص جميعًا على طاعة الله.

إن الحسن البصري الإمام يقول: "والله إني أعرف ذنبي ومعصيتي، في خُلق زوجتي وخلق دابتي، يعني أعصي أخرج إلى الزوجة أجد أحوالها متغيرة، لسانها يطول يحتد، أمورها مقلوبة علي، أخرج إلى الدابة أركبها أجد الدابة تنفر مني". والله وجدت أكثر مما يقوله الحسن البصري، في طاعة الله وفي معصية الله، إذا عصينا رأينا العقاب عاجلًا، إذا أطعنا رأينا الرزق دارًا وفيرًا، فجربوا الطاعة أيها، ولا تعدلوا عن طاعة الله أبدًا إلى طاعة غيره، واحذروا من أن يأتيكم شخصٌ بما لا تعرفون، فإنه تصاغ في الدساتير المصرية الأن، بلايا، بلايا الله بها عليم، بلايا وأنت لا تدري ولا تشعر، ما وراء هذه البلايا، وأنت رجل عامي، ترى أن اسم الله الأعظم لم يذكر في الدستور، إلا في موطن إن الرئيس يقول فيه اقسم بالله العظيم أن أكون وفيًا للنظام الجمهوري والدستور والقانون، ونفس رئيس الوزراء هذا القسم، لما اسم الله ذُكر أبدًا، أبدًا، في ظل هذه الوثنيات التي نعيشها، اسم رسول الله هل ذكر؟ أبدًا،

آية من كتاب الله ذكرت؟ لا والله ولا ذُكرت ولا آية في الدستور، حديثٌ لرسول الله ذكر، والله ما ذكر ولا حديث، ركن من أركان الإسلام ذكر، والله ما ذكر ركنٌ واحد، وإن شئتم راجعتم، وترى الضرائب واجبة الأداء ومن منعها عُقب، يا إخواني والزكاة التي فرضها الله، والتي قاتل الصديق أبو بكر القوم عليها أين هي؟ كل هذا يتلاشى، وبكل تبجحٍ يضع هؤلاء الذين وضعوا مسودة الدستور الأثيمة، بكل تبجح يقولون السيادة للشعب، وهو مصدر السلطات، والأحكام تصدر باسم الشعب، ما هذا الذي دخل علينا في ديننا ولا نعرفه ولا ندري عنه.

أيها الإخوة ليس كتاب الله بعيدٍ عن أيديكم، وليست سنة رسول الله، ببعيدة عن أيديكم، فتدبروا القرآن، واقرأوا سنة النبي الأمين، واعملوا بهما في أزمنة الاختلاف وأزمنة الفتن فإن الرسول قال: «إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به، لن تضلوا بعدي كتاب الله فحس ورغب في كتاب الله». في رواية: «وآل بيته عن المتبعين للكتاب العزيز». ورواية أخرى «وسنتي». وقال: «أنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةً بدعة، وكل بدعة ضلالة». هكذا حذرنا الأمين محمد، فبلغ وما قصر في البلاغ، وأدى وما قصر في الأداء، وبين وما قصر في البيان، فعليه صلوات الله وسلامه، وعلى رُسل الله الكرام.

اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام والإيمان حتى نلقاك، اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكنا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، اللهم يا ربنا امنن علينا بالحشر مع النبي محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وتحت لوائه مع المُنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، اللهم ارزقنا توحيدك الخالص، اللهم ثبتنا على الإيمان، ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا، اللهم اجعلنا بررة بالآباء والأمهات، اللهم اجعلنا بررة بالآباء والأمهات في حياتهم وبعد الممات، اللهم اجعلنا واصلين للرحم يا رب العالمين، اللهم اجعلنا واصلين للرحم، محسنين إلى الجيران يا رب العالمين، اللهم ارزقنا الطيب من القول، اللهم ارزقنا الحنو على الأرامل، والأيتام، والمساكين، اللهم اجمع كلمة أمة محمد على كتابك، على كتابك على كتابك وسنة نبيك الأمين، أنجي اللهم المستضعفين من المؤمنين في سوريا، وفي غزة، وفي بورما، وفي سائر البقاع يا رب العالمين، عليك يا ربنا باليهود الظالمين، والطغاة الآثمين، والشيعة المضلين المبتدعين يا رب العالمين، هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم هب المسيئين منا للمحسنين، اللهم ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، وفك أسرنا المسلمين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، واقض الدين عنا وعن المدينين، اللهم آمين، إخواني صلاتكم وسلامكم يصل منكم إلى نبيكم محمد، فمعكم ملائكة كرام بررة، يحملون الصلاة والسلام منكم إلى رسلكم ويسجلون الصلاة والسلام منكم في صحائف أعمالكم، فصلوا على البشير النذير وسلموا تسليمًا.

ألا وأقم الصلاة.

****

- **يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي :**

https:--www.youtube.com-channel-UCkL2vNPCvXU1niLe7KhKFXg

- **رابط الخطبة :**

https://www.youtube.com/watch?v=T7nNOIbZ4YU&list=PL92HwYx3aJlvJO3ewL3GHuCxcMuOShRNy&index=7

- **رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك :**

https:--www.facebook.com-groups-1258020111019067-?ref=share